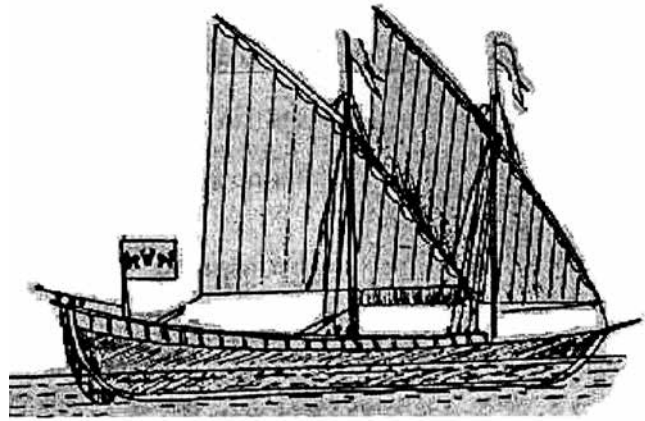


السفينة للقرون الوسطى



السفينة للقرون الوسطى

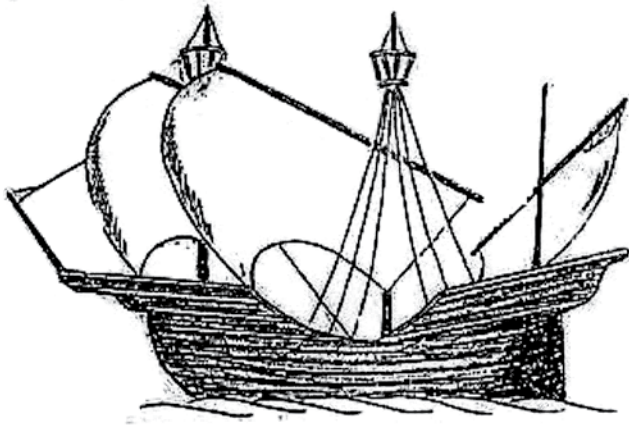
1983. 6. لطيشيف س. ف. أخبار قدماء الكتاب حول سكيف والقواز. // النشرة الدورية في التاريخ القديم، 1949، رقم 1.
7. يامبولسكى ز. إ. ألبانيا القديمة في القرون 1-3 ق. م. باكو، 1962.
8. علييف ك. ألبانيا القوقازية. باكو، 1974.
9. علييف ش. بحر القزوين في الخرائط التاريخية (باللغة الأذربيجانية). باكو، 1973.
10. رحلة أبو حميد القرناطى فى أوروبا الشرقية والوسطى (أعوام 1131-1153)، إصدار أو. ج. بولشاكوف، أ. ل. مونجايت. موسكو، 1971.
11. إيفليا شلبى. كتاب الرحلات (مأخوذ عن مؤلفات الرحالة التركى فى القرن 17). الترجمة والتعليق. الإصدار الثالث. أراضى ما وراء القوقاز والمقاطعات المتاخمة لها فى آسيا الصغرى وإيران. موسكو، 1983.
12. المعنى هنا باسم آرمينيه هو المصطلح العربى الإدارى «آرمينيه»، الذى يشمل كل أملاك العرب فيما وراء القوقاز (حول هذا الموضوع انظر: مقدمة إلى «ابن القرطبى»). باكو، 1986، ص 48). كما أن ذكر الاسم الإدارى العام بالإضافة إلى أسماء المدن والأقاليم التى تدخل ضمنه هو- سمة مميزة للعديد من المؤلفات العربية فى القرون الوسطى.

ومن المؤلفين فى العصور اللاحقة، يضيف ابن الوردي إلى الأسماء المذكورة اسم آخر هو «بحر الأتراك». وهكذا، فقد حاولنا بصورة رئيسة تتبع كل المصادر الجغرافية العربية خلال القرون 9-16، والتي ما زالت تحتفظ بالمواد حول بحر القزوين، دون منح أفضلية لكاتب بعينه، إلا من خلال استقلالته وأصالته، أو ان كان من المقلدين.

### المراجع

1. فيليخانوفان. م. أبو حميد الأندلسى القرناطى وبحر القزوين. // النشرات العلمية لجامعة أذربيجان الحكومية، 1976، رقم 1.
2. برتولد ف. ف. المؤلفات. موسكو. عام 1965، الجزء 3.
3. خدود الأعلام. طبعة مينورسكى. لندن 1937، ص 75، 42.
4. the regions of the world. Tran. and explained by V. Minorsky.
5. حمد الله القزوينى. نزهة القلوب (مواد فى تاريخ أذربيجان) الترجمة إلى الفارسية من الانجليزية ز. م. بونياتوفا، والترجمة من الفارسية ب. بيتروشفسكى، باكو،

## السفينة للقرون الوسطى

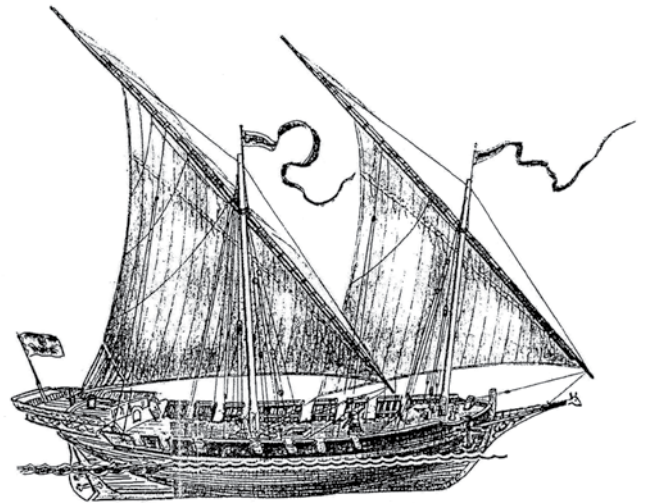


إلى بحر جرجان المذكور لدى المؤلفين الإغريق. ومنذ القرن العاشر يبدأ فى اكتساب اسم بحر الخزر. وبالإضافة إلى الأسماء المعروفة المستخدمة من قبل، يستخدم المسعودى فيما يتصل ببحر القزوين اسم "بحر العجم" (أى غير العرب)، معتبرا أنه بحر الخزر، وباب الأبواب، وآرمينية (11)، وأذربيجان، وموجان، والحيل، والديلام، وعباسكون. وبدءا من تلك الفترة، قام جميع الجغرافيين العرب، فى حال ذكرهم لأسماء أخرى أو قديمة لبحر القزوين، بتسمية القسم المخصص لذلك البحر باسم "حول بحر الخزر" (أو شئ آخر بهذا المعنى). وبالإضافة إلى أسماء: الخزر، طبرستان، جورجان، عباسكون، خراسان وجيل، يذكر ياقوت الحموى الإسم الإغريقى لذلك البحر لدى أرسطو وهو اسم إيركانى (أى جرجان). كما أنه استنادا إلى حمزة الأصفهانى يذكر أيضا الإسم الفارسى القديم زاراخ أكفودى أو أكفودى داريا، ويدحض تسميته ببحر "الخرز".

بعد أن ذكر شمس الدين الدمشقى كل الأسماء المعروفة قبلا، صار يطلق على بحر القزوين الاسم الذى ذكره التيورك، وهو- بحر قُرْزوم القُدْس، وبعد ذلك شرح أن "القُدْس هو- فراء أحد الحيوانات التى تشبه كلاب البحر البرية الصغيرة، التى تعيش على البر مثلما فى البحر كما تشاء". وانطلاقا من الاسم والوصف، فالمقصود هنا هو حيوان القندس (نوع من القوارض التى تشبه السنجاب).

الخنزير. وبصريح القول فإن هذه السمكة كانت مخيفة الهيئة ومثيرة للفرع. وقد احتشد جميع سكان باكو، وشماخى، وديميركابو (دير بنت) للفرجة عليها. ويحكى أحد الرحالة فى بحر القزوين ويدعى خوجا سريخان قائلا: "... تعيش هذه السمكة فقط فى بحر الخزر، ويطلق عليها الصيادون اسم الوحش ذو أذنى الفيل..." (10، ص 169). وهكذا، فليس هناك شك فى الصلة بين الوحش الذى شاهده إيفلى شلبى وسمكة المؤلفين العرب. وبصورة عامة، فلو أن الحديث يدور حول حقيقة واحدة، ولو بفروق بسيطة، على لسان اثنين من الرحالة المشهورين (القرناطى، و إيفليا شلبى)، اللذان ينتميان إلى قوميتين مختلفتين، بل وإلى عصرين مختلفين، ففى هذه الحالة ينبغى الاستناد إلى الإبداع الأسطورى من أجل توضيح الحقائق. وبلا جدال، فإن هذه المعلومات ينبغى أن تقع فى بؤرة اهتمام علماء الحفريات، بقدر أكبر مما تقع فيه لباحثى الفلكلور.

تضم المواد التى تركها الجغرافيون العرب حول بحر القزوين أسماءً أطلقها على هذا البحر أولئك الجغرافيون العرب، وتمثل اهتماما لا ريب فيه. وقد ذكرنا أعلاه من قبل الأسماء المبكرة التى ذكرها المؤلفون فى القرن التاسع، ويسود من بينها اسم جورجان، الذى يعود بصورة واضحة

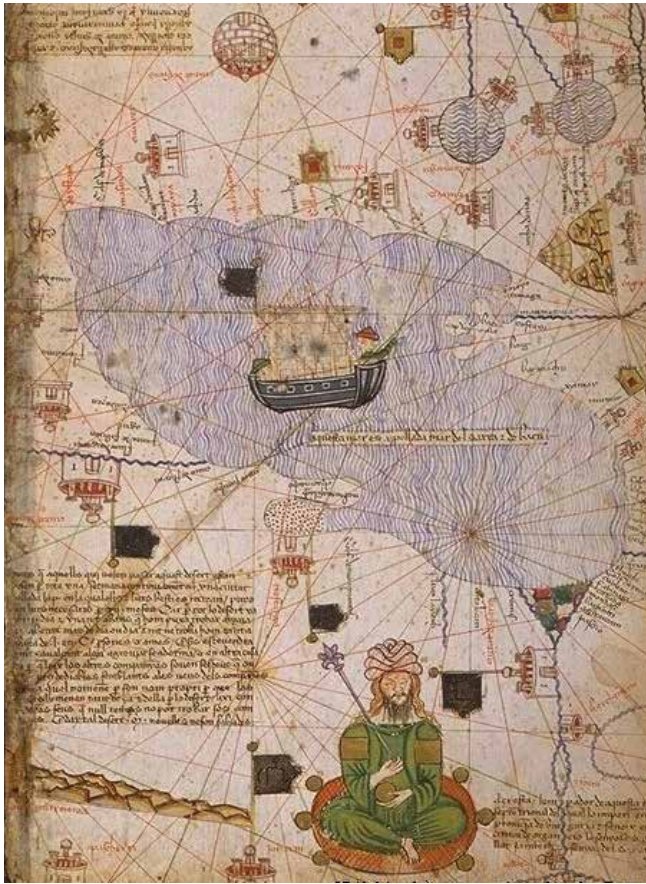


(التاريخية، 108).

لقد صارت معلومات القرناطى حول بحر القزوين تمثل أحد مراجع زكريا القزوينى، الذى اقتبس حرفيا معلومات سابقه، ولم يصف إليها شيئا يُذكر.

ويمكن أن نجد بعض المواد الجديدة نسبيا حول القزوين لدى أبو الفدا الشهير، والذى أقام معلوماته ليس فقط استنادا إلى الآثار المدونة التى نعرف أصحابها جيدا (الإصطخرى، ابن حوقل، الإدريسى)، بل على أساس الروايات الشفهية. وتتسم بالتشويق الكبير حكايته التى يسردها على لسان أحد التجار "الذى أبحر فى ذلك البحر"، ورحلته عند مصب نهر الفولجا حتى مدينة سرايا.

ولا نجد لدى الجغرافيين الآخرين من العرب فى المرحلة المتأخرة (النوايرى، والحرانى، وابن الوردى) سوى القليل من المعلومات الجديدة حول بحر القزوين، والمعلومات الإضافية لأسلافهم. وتعود النواة الرئيسة لهذه المادة إلى مرحلة القرون الوسطى المبكرة، وكذلك إلى مواد القرناطى وزكريا القزوينى، ولكن على الرغم من المفارقات التاريخية الواضحة، فإن عددا من المعلومات التى يذكرونها يمكن أن تصيح مثارا لاهتمام الباحثين [135] لهذه أو تلك من التفاصيل. ونود التوقف عند القصة التى تستحق بعض الاهتمام من وجهة النظر العلمية، وهى حكاية "التنين"، الذى قيل أنه يسكن بحر القزوين، والذى وصفه أيضا زكريا القزوينى فى قسم حول عالم الحيوانات فى القزوين. ويتسم وصف ذلك التنين باللامعقولية المتناهية، إلى الحد الذى يبدو فيه أسطوريا كل ما كُتب عنه. فيجرى الحديث هنا حول الحجم الخرافى لذلك التنين، والذى يُذكرنا بشدة بالحية العملاقة التى تستطيع بذيلها الإطاحة بالبيوت واقتلاع الشجر، كما توجد هنا الحيوانات التى تنفث النار من منخريها، فتحرق الأشجار وغيرها. وبصورة عامة فالمادة الفلكلورية غاية فى الثراء. ولكن، هل كل هذه الحكايات من الخرافات؟ لو أننا صدقنا



### السفن مبحرة فى القزوين. مقطع من خريطة "تتاريا الشمالية والشرقية"، لنيكولاس فيتسى. عام ١٦٩٢.

رواية إيفلى شلبى بأنه شاهد عن كثب السمكة العملاقة الملقاة على الشاطئ، أثناء رحلته على سواحل القزوين (بين باكو وديربنت طبقا لوصفه)، فإن المعلومات التى ذكرها أولئك المؤلفون تكتسب صبغة حقيقية. وطبقا لكلمات إيفلى شلبى، "عندما سرنا بمحاذاة شاطئ البحر، شاهدنا سمكة دفعتها أمواج البحر إلى الشاطئ. وقد بلغ طولها ما يساوى مائة خطوة بالتمام والكمال. وكان لديها رأسان: واحدة- عند الذيل، تشبه رأس الأفعى، والأخرى يماثل حجمها قبة الحمام. وكان لهذا الوحش ملامح التنين الموصوفة فى الحكايات الشعبية. ويحمل فكها العلوى مائة وخمسين من الأسنان، وعلى السفلى- مائة وأربعون. وتبلغ كل سن حجم الذراع ويمثل سمكها فخذ الإنسان. وتشبه أذنائها أذن الفيل، وعيناها- مثل الطاولة المستديرة. وتغطى خصلات الشعر جسمها بالكامل مثل



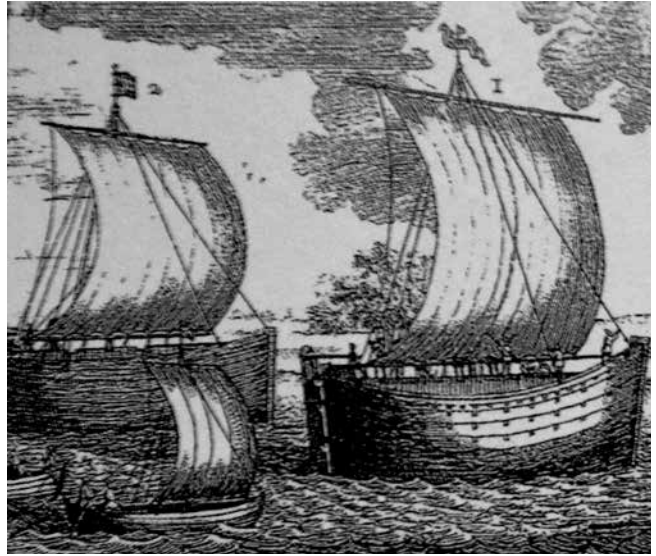


## بحر القزوين في خريطة العالم لويليام بلاو. عام ١٦٣٠.

ومرة أخرى تمتزج الحكايات أو الخرافات الفلكلورية بأخبار القرناطى، التى إن كان يسردها على نحو جاد، فهى على الرغم من ذلك تفصح عن شكوكها مرة أخرى. ومن الطريف أن حكايته حول حورية البحر، التى خرجت من أذن سمكة عملاقة، وحول تلك السمكة على وجه الخصوص التى يُرجعها إلى بحر مارك (هنا: المحيط المتجمد الشمالى)، والذى تكرر فى مؤلفات زكريا القزوينى، ولاحقا مؤلفات الحرامى وابن الوردى، ينسبونها إلى بحر القزوين. وطبقا لما يقوله أ. ل. مونجايت، فإن حكاية القرناطى حول حورية البحر تتطابق مع قصة الحورية فى فلكلور شعوب منطقة الفولجا، تلك الحورية التى خرجت من أذن السمكة (9)، التعليقات

يذكر إيفلى شلبى معلومات يمكن على الفور "ربطها بما ذكره القرناطى. وطبقا لمعلوماته "ففى نواحى باكو يوجد عدد من الأماكن غير الصالحة للزراعة، والتى تُسمى "شورى". فإذا جاء الإنسان أو الحصان وتباطأ فى سيره، فسوف يحرق قدميه. وتقوم القوافل المارة، بحفر حفرة فى مثل هذه الأماكن، ثم تضع مسرعة الأوانى النحاسية المملوءة بالطعام بداخلها، فيغلى الطعام فيها بسرعة البرق من شدة حرارة الأرض. ويا لحكمة الرب المدهشة" (10، ص 167). ومن الجلى أن هذه الظاهرة الطبيعية قد ارتبطت بالتربة النفطية لأبشيرون، ويبدو أن هذا المكان كان يقع فى غرب باكو على سواحلها عند شيخوف.

## بحر القزوين في الخريطة الأوروبية للقرن الخامس عشر.



في هذا البحر، وعن أشهرها وهي- أباسكون، والتي تتطابق في الغالب مع جزيرة تشيليكين المعاصرة. ويتمثل وصف س. ف. لطيشيف لتشيليكين مع تالجا (تالكا) التي وصفها المؤلفون الإغريق. ويتطابق إ. يامبولسكي تالجا مع جزيرة أرتيم (ببر الله المقدسة). كما يطابق ك. عليليف تالجا مع أبشرون. وطبقاً لرأى ش. عليليف، فإن جزيرة أباسكون تتطابق مع جزيرة جيوميوش تيبى (4، ص 61-62؛ و5، ص 286، و6، ص 13؛ و7، ص 311، ملحوظة 2؛ و8، ص 63). وبعد ذكره لأسماء الجزر المعروفة من قبل في المراجع العربية: جُزر:- الأفاعى، والجان، والجبل الأسود، والروى (روسيه؟) والخراف البرية، ويخبرنا المؤلف قائلاً: "في الوقت الراهن، من كل هذه الجزر، لا يوجد منها مأهول بالبشر سوى جزيرتين فقط هما أباسكون والخراف البرية، غير أن الأخيرة قد صارت مهجورة مرة أخرى. أما جزيرة الله أكبر التي تقع بالقرب من باكو، فقد صارت مأهولة من جديد، وتُمثل الميناء الرئيسي لبحر القزوين. ويأتى ذكر المعلومات حول الجزر الأخرى لهذا البحر في المؤلفات عن نشأة الكون" (4، ص 62).

كذلك نجد في مؤلفات القرناطى طريقة شيقة للغاية؛ من وجهة النظر الإثنوجرافية؛ لإعداد اللحم الذى يتم سلقه فى الأرض عند سواحل بحر القزوين. ويرى أ. ل. مونجايت؛ أحد ناشرى ترجمة مؤلفات القرناطى إلى اللغة الروسية؛ أن مثل تلك الطريقة فى الإعداد "غامضة". ويربط مرجحاً المعلومات المذكورة للقرناطى، بإعداد اللحم داخل "مواقد محفورة فى الأرض"، والتي ينتشر استخدامها لدى الأيروميين فى الشمال الغربى لأذربيجان (9، ص 86)؛ ولكن مثل تلك الحُفر يتم إشعال النار فيها من الحطب المملوء بها، لذلك فمن المستبعد الربط بين هذه الطريقة فى إعداد اللحم، مع تلك الوسيلة المذكورة من قبل القرناطى.

وفى وصفه لقلعة باكو فى منتصف القرن السابع عشر،

طولها من متر ونصف المتر إلى المترين، والتي كما وصفها القرناطى على أرض الواقع، لا تجلب [124] أى نوع من أنواع الأذى للبشر أو للطيور، حيث أنها غير سامة. ونشير إلى أن المؤلفين الإغريق قد ذكروا بدورهم المعلومات حول تلك الجزر غير المأهولة بالبشر فى بحر القزوين. ويختلف عدد تلك الجزر لدى الجغرافيين العرب- فلو أن البعض منهم (على سبيل المثال: البتانى، وابن رسته والإصطخرى) يذكر جزيرتين فقط، فهناك الكثيرون (الخوارزمى، وزخرب، والقرناطى، والدمشقى وغيرهم) الذين يذكرون أربع جُزر. وبالإضافة إلى الجزر المجهولة والصغيرة، تذكر المراجع جُزر سياكوخ التي تتطابق مع مانجيشلاك (2، ص 479-480، و3، ص 193)، والفوة- التي تقع قبالة مصب نهر كورا، وسهلان (أو شاهلان؟)، والباب- تقع بالقرب من ديربنت، والتي ربما تتماثل مع جزيرة تشيتشين، وروسين والغانم (جزيرة بارانوف)، والتي تقع، فى الغالب، فى القسم الشمالى للبحر، وكذلك مجموعة جُزر أبشرون- البركان، والجبل الأسود، والحيات (جزيرة الأفاعى). ويذكر المؤلف الفارسى فى القرن 14 حمد الله القزوينى؛ الذى اقتبس معظم معلوماته من المراجع العربية؛ فى قسم مخصص لبحر القزوين، معلومات حول 200 جزيرة



# ما ذكرته المراجع العربية حول أخبار الجُزر والعجائب فى بحر القزوين

ولو كان من الصعب تصديق معلوماته المذكورة حول الجُزر غير المأهولة بالناس، والمسكونة بالجان على حد وصفه، إلا أن ما ذكره حول جزيرة الأفاعى أمر يمكن الاستناد إليه تماما: فحتى الآن هناك مجموعة جزر باكو (أرخابيل - Archipel) التى تسكنها مختلف الطيور البرية والأفاعى. ففى الجزيرة التى تُسمى فى وقتنا هذا كاراس، تعيش الأفاعى التى يصل

قدم أبو حميد الأندلسى القرناطى، المعلومات الأكثر إثارة للاهتمام والجديدة نسبيا حول بحر القزوين، تلك المعلومات التى تختلف عن وصف معظم الجغرافيين الآخرين لبحر القزوين، فى استنادها إلى المواد التى جمعها عبر رحلاته الطويلة (1). وما يجذب الاهتمام هو وصف القرناطى لبحر القزوين، حيث تختلط المعلومات الحقيقية بالخيالية منها.

بحر القزوين فى خريطة كورنيل دى جوديه. عام ١٥٧٩.

